الجذور التاريخية للتعليم في البحرين حتى عام ١٩١٩

ا.م مشتاق طالب الخفاجي
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الباحث حسين نعمة الخفاجي
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية.
Hussein al-Khafaji@yahoo.com

ملخص البحث

يعد التعليم الكتاتيبي في الخليج العربي عموماً، والبحرين خصوصاً البذرة الأولى للتعليم، وعلى الرغم من كونه تعليماً شعبياً وليس رسمياً، ولكنه يدل على اهتمام المجتمع الخليجي والبحريني بالعلم والتعلم. وعند تأسيس الارسالية العربية الامريكية في البحرين ١٨٩٢ كان هدفها الأساسي نشر الديانة المسيحية بين أوساط المجتمع البحريني، فأدركت صعوبة عملها هذا في المنطقة لشدة تمسك سكانها بالدين الإسلامي، الأمر الذي قاد الى مقاومة نشاطها هناك، لذلك مارسوا أنشطة أخرى كان أبرزها الطب والتعليم.

الكلمات المفتاحية: التعليم الكتاتيبي، الارساليات التبشيرية، الخدمات الطبية، خدمات تعليمة.

Abstract

Education is generally Ketatibi in the Persian Gulf, Bahrain, especially the first seed of Education and was educated popularly and officially not, but shows interest in the Gulf and the Bahraini society with science and learning. Upon the establishment of the Arab American Mission in Bahrain in 1892 he was the main objective spread Christianity among the Bahraini society, I realized the difficulty of working in this area for the intensity of its population stuck to the Islamic religion, which the leaders of the resistance activity there, so I practiced other activities.

key words:Koranic education, missionaries, medical services, instruction services.

المقدمة

سنحاول في هذه الدراسة تتبع الجذور التاريخية لنشأة التعليم في البحرين حتى عام ١٩١٩، اذ كان التعليم السائد في تلك المرحلة بمنطقة الخليج العربي عموماً، ومنها البحرين، هو التعليم الديني الكتاتيبي، اذ انتشرت الكتاتيب التي كان يديرها (المطوع) أو (الملة)، وكان الهدف منها توجيه الطفل أخلاقياً وترويضه على الطاعة ، وتحفيظه القرآن الكريم وتعليمه السنة النبوية الشريفة، فضلاً عن الى تعليمه القراءة والكتابة والحساب.

وإلى جانب التعليم الكتاتيبي ظهر التعليم الأجنبي في البحرين، الذي أُسس على يد الإرسالية التبشيرية العربية الأمريكية في عام ١٨٩٢، هذا فضلاً عن تقديم الخدمات الطبية الى المواطنين، وقد اتخذت الارسالية التبشيرية هذين العاملين سلاحاً لنشر الديانة المسيحية في المنطقة.

الجذور التاريخية للتعليم في البحرين حتى عام ١٩١٩

يُعد التعليم أحد الوسائل الناجحة المستخدمة لإحداث تغيرات تكنولوجية واجتماعية في المجتمعات الحديثة، وهو ايضاً أحد الوسائل لتحسين الاتصال بين الناس ليس عن طريق القراءة والكتابة فحسب، بل على مستوى وسائل الإعلام ايضاً، وبذلك يتم تبادل الآراء والمعرفة والتجربة الانسانية. واذا كان التعليم ضرورياً للبلدان المتقدمة بوصفه وسيلة لتطوير المعارف والدراسات الانسانية واغناء للحضارة فإنه أكثر ضرورة للبلدان النامية للإلحاق ببقية دول العالم للإفادة من مزايا الحضارة المعاصرة [١]، وتعد البحرين إحدى تلك الدول النامية التي كان للتعليم فيها دور أساس في النهوض بالواقع العام فيها، وصولاً الى مرحلة اللحاق بركب الدول المتقدمة حالياً.

كما ويعد التعليم اساس الحركة الفكرية والثقافية في البحرين، فعن طريقه برزت الجماعات المثقفة التي باشرت بعمليات الكتابة والتأليف، ويعود الفضل الأول للتعليم في كل ما حدث من نتاجات فكرية متنوعة منذ بزوغ فجر الطباعة والصحافة ونشوء المكتبات العامة وكل ما يمت بصلة الى اي عمل ثقافي على امتداد تاريخ البحرين الحديث [٢].

ويمكن تمييز نمطين من التعليم في البحرين قبل عام ١٩١٩ هما:

أ - التعليم الديني الكتاتيبي.

ب - الارسالية التبشيرية الامريكية العربية.

وإلقاء الضوء على هذين النمطين يمثل رغبةً في إعطاء تجذير تاريخي لتطور التعليم في البحرين في تلك السنوات المبكرة من تاريخها الحديث.

أ -التعليم الديني الكتاتيبي

كان النمط السائد للتعليم في منطقة الخليج العربي هو (التعليم الديني الكتاتيبي) متمثلاً بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية وتعليم القراءة والكتابة عن طريق الملالي والكُتاب الذين قصدهم الأولاد لتلقي الدروس [٣]،وكان من الطبيعي ازدهار هذا النوع من التعليم نتيجة لعوامل دينية وأخرى تتعلق بحاجتها آنذاك لتلبية حاجات المجتمع من القراء والكتاب والمحاسبين والموظفين، وبالفعل نجحت هذه الكتاتيب في إعداد الفرد للحياة طبقاً للمثل الدينية والأخلاقية التي يدعو إليها الإسلام. مما شجع هذه الكتاتيب على الانتشار لاسيما إن الدولة لم تكن الخدمات التعليمية من اختصاصها آنذاك وانما من اختصاص الأفراد والجماعات [٤] .

وكان التعليم في هذه الأماكن مجانياً الا إن الآباء عادةً ما كانوا يسهمون في تقديم الاموال الى(المطوع) او (المُله) الذين كانوا يستلمون كل خميس عن كل تلميذ روبية واحدة فقط ، لذا اخذت تسمى الروبية بـ (الخميسية) نسبة الى يوم الخميس [٥] .

وكان التعليم يتم في بيت المطوع أو في زاوية أحد الحوانيت أو في المسجد وتفرش أرضها بالمديد والحصير ولم تكن الدراسة محددة بزمن بل كانت تعتمد على سرعة الطالب في حفظ القران الكريم[٦]. وكان إنهاء الدراسة لا يناله كل من يدخل المطوع، لأن المطوع لا ينقل التلاميذ من سورةٍ الى أخرى الا بعد أن يجيد قراءتها لذا يظل بعضهم سنواتٍ عديدة حتى يكملوا الدراسة أو يمل المطوع منهم فيصرفهم، وكان بعض الناس يكتفون بتعليم أولادهم في المطوع الآيات الكريمة الضرورية لتأدية الفرائض على اعتبار ان ختمة القرآن تحتاج الى سنوات من الدراسة والنفقات التي تدفع للمطوع والتي لم يكن الكثيرون من الأهالي قادرين على تحملها لسوء حالتهم الاقتصادية[٧] .

وكان المطوع رجلاً كان أم امرأة حافظاً للقرآن الكريم، ويتم التدريس بترديد التلاميذ لما يقوله ألمطوع ويقرؤون بصوت عالٍ على طريقة الانشاد ويحنون أجسامهم للأمام والخلف أثناء القراءة [٨]. والمطوع في الكتاب ذو سلطة مطلقة في كل شيء فمن حقه أن يستخدم الأطفال في شؤون منزله الخاصة وله ان ينزل بمن يريد الوان العقاب [٩].

ولم يكن التعليم التقليدي (الكتاتيبي) مقتصراً على الصبيان فقط بل كانت هناك (المطوعات) أي النسوة المعلمات من أجل تعليم البنات فالتعليم كان للجنسين كل على حدة، وبعد إتمام هذه المرحلة التعليمية تعود الفتيات الى منازلهن إذ لايرين الأماكن التي طفن بها في أثناء مدة الدراسة مرةً ثانيةً إلا بعد الزواج [١٠]، أما الأولاد فكانوا عندما يختمون القران الكريم يتركون المطوع ويبحثون عن عمل يكون في الغالب مشابها لعمل اباءهم . ثم يتعلمون الكتابة لدى بعض الرجال ،

وقد يساعدون ابائهم في بيعهم وشرائهم او أي عمل يقوم به الآباء [١١]. وبعد إنجاز الأولاد والبنات لمهمتهم التعليمية وهي حفظ القران الكريم يُعد لهم احتفال بهذه المناسبة يسمى (الختمة) وتنشد بعض المدائح النبوية وتسمى (التحميدة) [١٢].

وقد وصف الدكتور (محمد جابر الانصاري) حفلة التخرج من الكتاب في البحرين بقوله " **كان الخاتِم يلبس جبة مقصبة وعقالاً اسود مزينا بالزري ، ويعلق سيفا له حمائل وعليه نقوش....وان كان الخاتم ثرياً اركبوه فرساً ، وان كان متوسط الحال اركبوه حماراً ..... اما اذا كان فقيراً فيكتفي بالمشي على قدميه حاملاً كل اثقاله من جبة وسيف على كتفيه.....ثم يطوف بمنازل الجيران تتبعه ترانيم المنشدين عند كل بوابه ، وفي وقت الغداء يعود الموكب الى منزل المتخرج للغداء**"[١٣]. في إشارةٍ الى المكانة الاجتماعية الكبيرة التي كان يحظى بها المتخرجون من هذه المرحلة الأولية من الدراسة والتعليم .

ويعد التعليم التقليدي في الخليج العربي عموماً والبحرين خصوصاً البذرة الأولى للتعلم، وإن كان تعليماً شعبياً وليس رسمياً ولكنه يدل على اهتمام المجتمع الخليجي والبحريني بالعلم والتعليم مع أنه بصورته المتمثلة بالكتاتيب إلا إن هذه الصورة الأولية سرعان ما طرأ عليها شيء جديد لم تشهده المنطقة وكان له تأثير على سير العملية التعليمية في الخليج العربي عموماً والتي يعدها البعض أولى بوادر التعليم الحديث في الخليج إلا وهو التعليم الذي أدخلته الإرسالية التبشيرية الأمريكية العربية[١٤] .

ب - الإرسالية التبشيرية الامريكية العربية ١٨٩٢ــ ١٩١٩

دخل الاستعمار الأمريكي الخليج العربي بصورته الأولى على شكل بعثات تبشيرية، وان التحالف والعلاقة بين الاستعمار والتبشير يعود الى وجود أهداف مشتركة تكمل بعضها بعض، فقد كانت الحركة الاستعمارية والتبشيرية منطلقة من فكرة سياسية رئيسة مشتركة تولدت نتيجة التطورات الثقافية التي شملت الأحداث السياسية والدينية والاقتصادية ابتداءً من الحروب الصليبية وعصر النهضة والإصلاح الديني والاستكشافات الجغرافية والثورة الصناعية الى العصر الحديث وتحديداً في القرن السابع عشر [١٥] .

عمل المبشرون والمستعمرون معاً في ميدان واحد، وقد وجدت الحركة التبشيرية في الاستعمار الجسر الذي يمكنهم من العبور الى البلاد غير المسيحية، لأن الحركة الاستعمارية مهدت الطريق للمبشرين لممارسة نشاطهم ووفرت الحماية اللازمة لهم، وبالمقابل فقد كان المبشرون يقدمون تقارير دقيقة عن الاوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية السائدة في مناطقهم، ولم يكن في مقدور المستعمرين الحصول عليها [١٦] .

وقد عبر بعض الساسة الأمريكان عن الفوائد التي حصلت عليها الولايات المتحدة من المبشرين بقولهم " **إن المبشرين هم المِرآة التي ترى الولايات المتحدة من خلالها الشرق الاوسط** "[١٧]. وهذه اشارة واضحة الى دور المبشرين المزدوج كونهم مبشرين ومستعمرين في الوقت نفسه .

وقبل انتهاء القرن التاسع عشر حظيت منطقة الخليج العربي عموماً باهتمام مباشر من المبشرين الأمريكان، إذ بدأ تاريخ الارساليات التبشيرية الاميركية البروتستانتية في الخليج العربي برحلة بحرية قام بها (هنري مارتن) عام ١٨١١ [١٨]. وتعد الإرساليات التبشيرية الأمريكية الأولى حضوراً في منطقة الخليج العربي عموماً وفي البحرين على وجه التحديد، وسنحاول إبراز دور هذه الإرساليات بإيجاز مع توضيح الأثر الذي تركته على واقع التعليم هناك.

انشأت (الارسالية الاميركية العربية) عام ١٨٨٩ برعاية الكنيسة (الاصلاحية الهولندية الاميركية) ، وهي كنيسة بروتستانتية عنت بفكرة القيام بنشاط تبشيري في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي باعتبارها اكثر الأماكن قدسيةً وثباتاً على دينها من اي مكان على وجه الارض باستثناء فلسطين بحسب تقييمها [١٩] .

ضمت الارسالية الاميركية العربية كل من: (جيمس كانتن وفيليب فيبس وصموئيل زويمر)[٢٠] بالتعاون مع الدكتور(لأنسنك) استاذ اللغة العربية في معهد اللاهوت في مدينة نيوبرونسوك في ولاية نيوجرسي الامريكية، الذي بذل جهداً كبيراً من اجل اقناعها بالنشاط التبشيري في المناطق العربية باعتبارها أول نشاط لها. وكان اسم الإرسالية الأصلي هو (العجلة) ولكنهم غيروه الى الارسالية العربية تلبية لطلب رسمي مقدم الى هيئة الارسالية الاجنبية التابعة الى كنسية الاصلاح الهولندية في امريكا، والسبب في تغيير الاسم هو للتغلب على الشكوك التي يحملها العرب نحو أنشطة الأجانب وهذه الشكوك كانت طبيعية وخاصةً في ذلك الوقت عندما كان الصراع الأجنبي على أشده في منطقة الخليج العربي بشكل عام، وقد وضعت الخطة الخطوط العامة لنشاط الارسالية في المرحلة المقبلة واختارت الجزيرة العربية هدفا لها[٢١].

وبدأت الارسالية عملها بوصفه مشروعاً مستقلاً لاعتقاد مؤسسيها في بادئ الأمر إنه من الصعب أن يحصلوا على رضا الكنيسة بالعمل، ولكنها في الحقيقة اصبحت بعدها وثيقة الارتباط بالكنيسة الاصلاحية الهولندية الأمريكية تابعة لها لاسيما بعد ان اصبحت هذه الارسالية عضواً رسمياً بالكنيسة منذ عام ١٨٩٤[٢٢].

أدرك أعضاء (الارسالية الامريكية العربية) صعوبة العمل في منطقة الجزيرة العربية، لأنها مهبط الرسالة السماوية، وشدة تمسك سكانها بالدين الاسلامي الأمر الذي سيقود الى مقاومة نشاطها هناك، لذلك كثفوا جهودهم لمعرفة افضل السبل لتسهيل عملهم هناك، وعليه قام (جيمس كانتين) في عام ١٨٨٩ بزيارة بلاد الشام ومنها الى السواحل الجنوبية والشرقية للجزيرة العربية ، ومن بينها البحرين ثم زار البصرة وبغداد ، وفي العام التالي لحقه (صموئيل زويمر) لزيارة مناطق الجزيرة العربية ، فتنقل في العديد من مناطق الخليج العربي وأمضى قرابة عشر سنوات في تلك المناطق التي لم يزرها اي اجنبي من قبل . والف حوالي (سبعة عشر) كتاباً عن شبه الجزيرة العربية، تحدث فيها عن زياراته ومشاهداته هناك، ويعد كتابه(الجزيرة مهد الاسلام) الذي طبع لأول مره عام ١٩٢٠ من أهم تلك المؤلفات[٢٣].

وضَع زويمر تصوره عن كيفية بدء العمل التبشيري في شبه الجزيرة العربية والمناطق المتاخمة لها، فقسمها الى مناطق عديدة، وعَد العمل سهلاً في المناطق الخاضعة للنفوذ البريطاني مثل (عدن وعُمان والكويت والبحرين)، وذلك قياساً بالمناطق الخاضعة للنفوذ العثماني آنذاك التي تسبب المشاكل فيها[٢٤].

وليسَ هناك من شك بأن الدافع الأساس للإرسالية العربية الأمريكية هو التبشير بالنصرانية في شبه الجزيرة العربية وتحويل سكانها الى المسيحية [٢٥]، الا إن زويمر وزملاءِه مارسوا من خلال الإرساليات التبشيرية أنشطة أخرى لا تمثل حقيقة الأهداف التبشيرية الدينية منها أنشطة طبية وتعليمية وتثقيفية وآثاريه وجغرافية، وتنصب تلك الانشطة في هدفين رئيسين هما:

١- اقناع السكان باهتمام المبشرين بتاريخ المنطقة وحضارتها وديانتها، لتجنب رد فعلهم تجاه انشطة المبشرين المشبوهة .
٢- توجيه التعليم التبشيري لمصلحة الفكر الغربي، اذ ادى هؤلاء المبشرين دوراً سياسياً ودينياً الى جانب نشاطاتهم في حقل الآثار والخدمات الطبية [٢٦] .

فالإرسالية كانت تطمح الى نشر الفكر الغربي والثقافة الاجنبية في مجتمع الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية، ونلحظ ذلك من توزيع المطبوعات التي تبث الفكر المسيحي التي بلغت خلال السنوات من (١٨٩٢-١٩٠٥) أكثر من (٤٠٠) مطبوع مسيحي، كان أبرزها (الكتاب المقدس) وذلك بدعم مالي ومعنوي من جمعية (الكتاب المقدس البريطانية ـ الامريكية)[٢٧].

وضعت الإرسالية الأمريكية العربية خطة عمل للقيام بالعمليات الميدانية بالمنطقة، ورَحلت اولى ارسالياتها الى العاصمة اللبنانية بيروت اذ قام المبشرون هناك عدة شهور لجمع المعلومات ودراسة اللغة العربية والتدرب على استخدامها والتعرف على المجتمع العربي[٢٨]. والأهم من هذا كله مقابلة (كميل عبد المسيح)، وهو مسيحي سوري اصبح فيما بعد مساعداً للإرسالية، وقد لعب دوراً مهماً ومفيداً في اعمال الارسالية لإتصاله قبل ذلك بالمبشرين الامريكيين الذين كانوا يزاولون نشاطهم في بيروت قبل ظهور هذه الإرسالية بوقت طويل[٢٩]. ولم تكن بيروت غاية المبشرين وانما كانت محطة انتقال، ثم انتقلوا بعدها الى البصرة عام ١٨٩١[٣٠].

لم يكن اختيار البصرة قاعدة ومحطة أولى لعملياتهم التبشيرية امراً اعتباطياً بل امراً مدروساً، فقد كان موقع هذه المدينة يتمتع بأهمية استراتيجية في المنطقة كلها لأنها تسيطر على الرأس الشمالي للخليج العربي، وكانت الحكومة الامريكية قد سبق ان انشأت قنصلية هناك واستطاع المبشرون الامريكيون ان يعيشوا ويعملوا تحت حمايتها، وقد شكل هذا عوناً كبيراً لهم خاصةً وان البصرة كانت خاضعه فيها لسيطرة الدولة العثمانية[٣١].

ومع ذلك كان المبشرون يرغبون بفتح ميادين جديدة للعمل التبشيري في المنطقة ، لذلك عمدوا الى فتح محطة جديدة في البحرين عام ١٨٩٢[٣٢]. ولعل السبب وراء اختيار البحرين مركزاً لانطلاقاتهم نحو سواحل الخليج العربي ووسط الجزيرة العربية هو لموقعها الاستراتيجي المتميز، إذ تقع البحرين في منتصف الطريق بين البصرة ومسقط وقربها من الاحساء في الحجاز[٣٣]. لذلك فأن معظم المعلومات التي تغطي الخليج العربي كانت ترد من البحرين[٣٤].

تألفت الارسالية العربية في البحرين من خمسة مبشرين، اثنان منهم مصحوبين بزوجاتهم، وسيدتان غير متزوجتين، وكان اثنان من المبشرين بصفة طبيب، فضلاً عن طبيب بصحبة زوجته، وهناك سبعة اشخاص من المساعدين لها الناطقين باللغة العربية، الذين كانت مهمتهم تسهيل التعامل مع السكان المحليين والتعرف على اوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لنقلها الى مركز الارسالية[٣٥].

ارتكز عمل الإرسالية التبشيرية الأمريكية العربية على جانبين رئيسين في محاولة نشر الديانة المسيحية في المنطقة العربية عموماً والبحرين خصوصاً، وهما الطب والتعليم[٣٦]. وسنتطرق الى هذين الجانبين بشي من التفصيل:

١ ـ الخدمات الطبية

كانت الخدمات الطبية المجانية التي يقدمها المبشرون الامريكيون اولى الوسائل التي اتبعت للاتصال بالناس والتحدث معهم عن المسيحية والتطبيب على حد سواء ، فكان يقدم الدواء قبل ان يباشر الطبيب المبشر بفحص مرضاه. وبما ان الناس في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانوا في أمس الحاجة للخدمات الطبية الحديثة لندرتها آنذاك، لذا شد الناس الرحال من أصقاع بعيدة الى مستشفيات المبشرين في الموصل وبغداد والبصرة والبحرين لعلاجهم ، لذا نجد إن (زويمر) يعد العلاج الطبي والصحي وسيلة مهمه للوصول الى نفوس الناس، ففي توصياته للمبشرين في الجزيرة العربية يقول " ان الطبيب المؤهل والجراح الممتاز يمتلكان ترخيصا تفتح امامهما الابواب المغلقة ويغزوان اقسى القلوب "[٣٧]. وهذه اشارة واضحة الى ما يقدمه الطبيب المبشر في تمهيد الأرضية المناسبة في نفوس الناس لتقبل أفكارهم الجديدة بما يخص التبشير وغيره.

حظيت الخدمات الطبية بالأولوية في مهمات المبشرين كوسيلة لنشر افكارهم، وقد لعبت دوماً الدور الأكبر بين انشطة الإرسالية الاجتماعية. وكان تقديم مثل هذه الخدمة جزءاً من الخلق المسيحي الذي يدعو لمساعدة الناس وشفائهم، ولم يكن المجتمع الخليجي في ذلك الحين ينعم بالرعاية الطبية الحديثة والعلاج الوحيد المتوفر في تلك الأيام هو

العلاج أو الطب الشعبي، وان هذا العلاج الذي يقدمه الطبيب المبشر هو اكثر الوسائل قرباً الى النفوس، فقد كان مدخلاً واسلوباً انسانياً يحظى بتقدير الشعب العربي ويقف حائلاً أمام ردود الفعل السلبية سواء كانت دوافعها دينية او سياسية[٣٨] نشط المبشرون في ميدان تقديم الخدمات الطبية في منطقة الخليج العربي ، ومما ساعدهم على ذلك ان الجو العام فيه من ارتفاع درجات الحرارة والرطوبة وقلة المياه العذبة الصالحة للشرب وسوء التغذية ، كانت من العوامل التي ساعدت على ان تجعل من مدن الخليج العربي مناطق تتفشى فيها الأمراض والاوبئة كالطاعون والكوليرا والجدري والتدرن الرئوي وغيرها[٣٩] .

يعد عام ١٨٩١ بداية لقيام الخدمة الطبية للإرساليات التبشيرية في البصرة[٤٠] . في حين عد عام ١٨٩٢ بداية الخدمة الطبية للإرساليات في البحرين[٤١]. وقد نمت الخدمات الطبية فيها نمواً سريعاً كماً ونوعاً ، ويمكن ارجاع ذلك الى عدة أسباب منها:

اولها: ان الإرسالية العربية الأمريكية اكتسبت خبرة لابأس بها من تجربتها في البصرة والتي مكنتها من تثبيت وجودها هناك في وقت مبكر واقامة مؤسسات دائمة فيها .

وثانيها توفر المال اللازم لتطوير البرنامج الطبي ، وكانت مصادر هذه الاموال من الكنيسة الاصلاحية في الولايات المتحدة الامريكية ، بالإضافة الى تبرعات الاهالي بين الحين والاخر .

أما السبب **الثالث** فهو المناخ السياسي المشجع لنشاط الارسالية والذي يمكن ان يعود لخضوع الخليج للسيطرة البريطانية .

أما **رابع** هذه الاسباب فيعود الى ازدياد عدد المرضى مما شجع الارسالية على بناء المزيد من المستوصفات بالإضافة الى المستشفى في وقت مبكر في البحرين .

وخامساً ان الارسالية العربية كانت قد قررت سلفا جعل البحرين قاعدة لنشاطاتها في المنطقة بدلاً من البصرة مما ادى الى تركيز الاهتمام فيها لذا فان مؤسساتها الدائمة كانت تحظى دوماً بالأولوية ، وادت هذه الاسباب مجتمعة الى دعم العمل التبشيري في البحرين وخاصةً في المجال الطبي[٤٢] .

بدأ المبشرون يفكرون جدياً بإقامة مستشفى في البحرين منذ عام ١٩٠٠، اذ لم يعد المستوصف قادراً على تلبية حاجة جميع من يأتون من المرضى لازدياد اعدادهم ، وكثرة الحالات التي تحتاج بعضها الى الاقامة في المستشفى واجراء العمليات . وكان الجميع متفقين على ان تقديم العلاج على هذا المستوى المحدد لم يعد يتماشى مع العصر ، وان الوقت قد حان لبناء مستشفى للإرسالية في هذه المنطقة[٤٣] . وبالفعل تم لهم ذلك في عام ١٩٠٢ ببناء أول مستشفى في البحرين، مع مكان مخصص للإقامة يضم واحداً وعشرين سريراً، يعمل في هذه المستشفى طبيبان مؤهلان وممرضتان متدربتان، بالإضافة الى موظف مساعد من السكان المحليين، وقد حصل على خبرة من الهند شخص متخصص في الدواء وآخر لتضميد الجراح[٤٤] .

٢ـ الخدمات التعليمية

حضي التعليم، في الوقت نفسه باهتمام الإرسالية العربية الأمريكية بوصفه وسيلة تبشيرية، وذلك لاتصاله بالمبدأ الذي يؤكد إن المسيح كان معلماً، والذي كان يدعو اتباعه دوماً لنشر تعاليمه بين الناس، وكان المبشرون يعتقدون بأن من واجبهم تعليم الايمان المسيحي متخذين من التعليم وسيلة للتأثير في غير المسيحيين[٤٥]، لاسيما في تلك المناطق التي كانوا يعتبرونها ارضاً خصبه بجهل اهلها وتخلفهم كالخليج العربي، بحسب تصورهم، ومن ثم امكانية التأثير فيهم بفرض

افكار عقائدية جديدة مغمسة بإغراءات تحسين أوضاعهم المعاشية والمادية، وهذا الأمر اثبتت الأيام عكسه تماماً، عندما واجهت تلك الحملات التبشيرية المنظمة رفضاً وصدوداً من سكان الخليج العربي عموماً، لالتزاماتهم الدينية والعشائرية القبلية .

لقد استهدف التعليم التبشيري هدفين أساسيين: **الأول** اقناع السكان باهتمام المبشرين بتاريخهم وديانتهم لتجنب حدوث رد فعل عنيف من السكان تجاه النشاط التبشيري. و**الثاني** توجيه هذا التعليم الديني لخدمة الفكر الغربي، والطعن في تاريخ العرب والمسلمين وابراز قيم النهضة الاوربية وفضلها على الشرق(٤٦). متناسين حقيقة فضل الاخير عليهم، كون المسلمين هم رواد النهضة التي انتقلت بعض ملامحها الى الغرب بشهادة علمائهم.

بدأت الخدمة التعليمية للإرسالية العربية في البحرين في نفس الوقت الذي بدأت فيه الخدمة الطبية فيها(٤٧). عندما أسست الإرسالية أول مدرسة بالأسلوب الغربي الحديث في البحرين خاصه بالبنات على يد البعثة التبشيرية عام ١٨٩٢(٤٨). والتي افتتحتها السيدة (إيمي) زوجة (صموئيل زويمر) في المنامة، وكانت هذه المدرسة هي الأولى من نوعها في منطقة الخليج العربي وليس في البحرين وحدها، وكان المنهاج التعليمي المتبع في المدرسة يتألف من المواد الآتية:(اللغة الانكليزية واللغة العربية والكتاب المقدس والحساب والتاريخ والجغرافيا)(٤٩).

ولم تستوعب المدرسة في السنوات الأولى من إنشائها سوى عدد قليل الفتيات البحرانيات اذ لم يزيد عدد طالبات كل صف على (١٢) طالبة. ويعلل أحد المختصين بالشأن التعليمي في البحرين السبب في ذلك بقوله " **ربما كان ذلك يرجع الى عدم رغبة الاباء البحرينيين في تعليم بناتهم من جهة ، والى تدريس تعاليم الدين المسيحي في هذه المدرسة من جهة اخرى** ". وعلى الرغم من هذه البدايات غير المشجعة فإن السيدة (إيمي) تابعت عملها بنشاط(٥٠) .

ولعل السبب من وراء افتتاح مدرسة للبنات أولاً دون البنين ، هو ما للمرأة من تأثير في المجتمع بصورةٍ عامة، وعلى الأسرة بصوره خاصة ، لأن المرأة هي المسؤولة الأولى على تربية الاولاد ، وبذلك اعتقد المبشرون إن الأفكار المسيحية ستنتقل الى الأسرة عموماً عن طريق المرأة أكثر من انتقالها عن طريق الرجل.

وبعد ذلك بسبع سنوات وتحديداً عام ١٩٠٥ افتتحت مدرسة للبنين في مقر الارسالية(٥١). وكان التحاق الطلاب بهذه المدرسة في السنوات (١٩١٠-١٩١٤) منخفضاً ومتقطعاً(٥٢)، والسبب في ذلك يعود الى إن هؤلاء الطلاب لم يستمروا في الدراسة التي كانت مدتها اربع سنوات ، اذ كان اباؤهم يرسلونهم اليها ليتمكنوا من اجادة القراءة والكتابة باللغة العربية وشيء من اللغة الانكليزية فقط ، وما ان يتقنوا ذلك حتى يسحبوا من المدرسة خوفاً عليهم من التأثر بالدين المسيحي من جانب، ومن جانب آخر لزجهم في العمل والوظائف الحكومية او لدى التجار لإعانة عوائلهم الذين كانوا يعيشون بظروف معيشية صعبة آنذاك(٥٣) .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها هؤلاء المبشرون، في سبيل دعوتهم الى التنصير بخلط التعليم بالتبشير بالنصرانية ، إلا انهم لم يوفقوا في تنصير أحد، بل إن الجهود التي بذلت جاءت بالاتجاه المعاكس، فقد تمكن بعض الصبيان والبنات من التعلم في هذه المدارس وكانوا يقفون موقف المدافع الصلب عن معتقدهم امام المبشرين على الرغم من صغر سنهم وينقل احد الباحثين عن واحد من طلاب مدرسة الارسالية قوله " **ان الدافع وراء الالتحاق بمدارس الارسالية هو تعلم اللغة الانجليزية والقراءة والكتابة** " (٥٤) .

ويعلق (أمين الريحاني) أحد الكتاب العرب المسيحيين سنة ١٩٢٢ على سبب فشل الإرسالية التبشيرية في المجال الصحي والتعليمي بقوله " **لو ان البعثة التبشيرية أوقفت دعوتها الى المسيحية لكان نجاحها أكبر بكثي، اذ ان المسلمين بعامة والعرب بخاصة متعلقون جداً بديانتهم ولن يقبلوا عنها بديلا** "(٥٥). والجدول الآتي يؤكد ذلك الفشل في المجال التعليمي بشكل واضح وبالأرقام:

التلاميذ المسجلون	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
المسجلون حتى كانون الأول ١٩٠٧	١٧	٨	–	٢٥
المسجلون حتى كانون الأول ١٩٠٨	١٢	٦	٣	٢١
المقبلون خلال العام الدراسي	٦	–	٣	٩
التاركون خلال العام الدراسي	١١	٣	–	٤
مجموع الحضور في السنة	٢٦٥٦	٦٢٨	١١٧	–
معدل الحضور في السنة	%١١،٤	%٢،٦٩	%٥	–
مجموع أيام السنة الدراسية	٢٣٣			

عدد المسجلين في مدارس الارسالية العربية في البحرين بين عامي ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ (٥٦) .

أما بالنسبة للموقف البريطاني من النشاط التبشري الأمريكي، فقد اتصفت العلاقة بين المبشرين الامريكان والسلطات السياسية البريطانية بانها كانت علاقات ود وصداقة، اذ ابدت هذه السلطات الاستعداد للمساعدة في كل وقت(٥٧)، ولم تكن هناك مشكلات سياسية ما بين السلطات البريطانية والارسالية الامريكية العربية، فعمل الأخير المعلن هو بالدرجة الأولى عمل تبشيري يهدف الى نشر النصرانية لا لتحقيق نفوذ سياسي آنذاك(٥٨).

ولكن على الرغم من هذه العلاقة الحسنة بين الطرفين الا ان الانكليز كانوا يشعرون ان وجود المبشرين الامريكان يشكل خطراً مستقبلياً على الهيمنة البريطانية في المنطقة، وقد اتضح ذلك الخطر حينما أظهر بعض المبشرين الرغبة في العمل السياسي المتمثل بالترويج للمصالح الامريكية هناك، وكان المبشرون يتسامحون مع السكان في مشاعرهم المعادية للإنكليز، والتي تتجدد كلما واجه المسؤولون البريطانيون صعوبة في تنفيذ سياستهم في المنطقة، وقد زاد دخول شركات النفط الأمريكية الى منطقة الخليج العربي من المخاوف البريطانية على مصالحهم (٥٩) .

الخاتمة

بدأت بواكير التعليم في البحرين مبكراً، والتي تمثلت بالتعليم الديني الكتاتيبي، اذ كان الأولاد والبنات يحفظون القرآن الكريم والسنة النبوية وتعليم القراءة والكتابة عن طريق الملالي والكُتاب الذين قصدهم الاولاد لتلقي الدروس، وكان من الطبيعي ازدهار هذا النوع من التعليم نتيجة لعوامل دينية وأخرى تتعلق بحاجتها آنذاك على تلبية حاجات المجتمع من القراء والكتاب والمحاسبين والموظفين، وبالفعل نجحت هذه الكتاتيب في إعداد الفرد للحياة طبقا للمثل الدينية والاخلاقية التي يدعو اليها الإسلام، مما شجع هذه الكتاتيب على الانتشار لاسيما أن الدولة لم تكن الخدمات التعليمية من اختصاصها آنذاك وانما من اختصاص الافراد والجماعات، ويعد التعليم التقليدي في الخليج العربي عموماً والبحرين خصوصاً البذرة الاولى للتعلم، وان كان تعليماً شعبياً وليس رسمياً ولكنه يدل على اهتمام المجتمع الخليجي والبحريني بالعلم والتعليم .

وسرعان ما طرأ على التعليم شيء جديد لم تشهده المنطقة من قبل وكان له تأثير على سير العملية التعليمية في الخليج العربي عموماً ويعدها بعضهم أولى بوادر التعليم الحديث في الخليج الا وهو التعليم الذي ادخلته الارساليات التبشيرية الأمريكية، وعلى الرغم من إن هدف البعثات الاستعمارية الأساسي هو التبشير بالنصرانية في شبه الجزيرة

العربية وتحويل سكانها الى المسيحية، الا أن زويمر وزملاءِه مارسوا من خلال الارساليات التبشيرية أنشطة أخرى لا تمثل حقيقة الأهداف التبشيرية الدينية منها أنشطة طبية وتعليمية وتثقيفية وآثاريه وجغرافية، ولكن البعثة الامريكية العربية فشلت في مهمتها، لأنها ربطت تقديم خدماتها بمهمتها الأساسية وهي التبشير بالنصرانية، لأن المسلمين بعامة والعرب بخاصة متعلقون جداً بديانتهم ولن يقبلوا عنها بديلا .

الهوامش

---

(١) محمد الرميحي، قضايا التغيير السياسي والاجتماعي في البحرين، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، (الكويت –١٩٧٦)، ص ١٦٧

(٢) منصور محمد سرحان، واقع الحركة الفكرية في البحرين ١٩٤٠–١٩٩٠، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت – ١٩٩٣)، ص١١٣.

(٣) مفيد الزيدي، التيارات الفكرية في الخليج العربي ١٩٣٨–١٩٧١، سلسلة اطروحات الدكتوراه (٣٥)، مركز دراسات الوحدة العربية،(بيروت ،٢٠٠٠) ، ص٦٥ .

(٤) ابراهيم خليل العلاف، الخليج العربي دراسات في التاريخ والسياسة والتعليم، سلسلة شؤون اقليمية رقم(١١)، مركز الدراسات الاقليمية، جامعة الموصل، الموصل، ص٢١٣–٢١٤ .

(٥) محمد الرميحي، البحرين مشكلات التغيير السياسي والاجتماعي، دار ابن خلدون للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٧٦)، ص ١٢٦.

(٦) ابراهيم خليل العلاف ، المصدر السابق، ص ٢١٤ .

(٧) احمد سالم، الحياة الاجتماعية والثقافية في البحرين قبل مائة عام، مجلة البحرين الثقافية، ص ١١٣–١١٤.

(٨) ابراهيم خليل العلاف، المصدر السابق، ص ٢١٤ .

(٩) احمد عبد الوهاب محمود الجمعة، نشأة التعليم الرسمي الحديث في الخليج العربي (١٩٤٥–١٩٧١)، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ص ١٧.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٨ .

(١١) احمد سالم، المصدر السابق، ص١١٤ .

(١٢) محمد الرميحي، قضايا التغيير، ص ١٧٨ .

(١٣)محمد جابر الانصاري، لمحات من تاريخ الخليج العربي، الشركة العربية للوكالات والتوزيع واسرة الادباء والكتب، البحرين، ١٩٧٠، ص ٩٨ – ١٠٢.

(١٤) احمد عبد الوهاب الجمعة، المصدر السابق، ص ١٩.

(١٥) توفيق سلطان اليوزبكي، ملامح الصراع الحضاري والثقافي في الخليج العربي، مجلة آداب الرافدين ، (العدد ١٩٨٨/١٨)، ص ١٤٥.

(١٦) عبد المالك التميمي، النشاط السياسي للمبشرين في منطقة الخليج العربي، مجلة دراسات الخليج العربي، العدد (٢٠) ، البصرة، ص ١٠٤ .

(١٧) توفيق سلطان اليوزبكي، المصدر السابق، ص ١٤٥ .

(١٨) لوريمر، القسم التاريخي، ج ٦ ، ص ٣٤٢٦ .

(١٩) طارق نافع الحمداني، تاريخ البحرين السياسي والاجتماعي والثقافي الحديث في دراسات أكاديمية، بيت الوراق للنشر، بغداد، ٢٠١١، ص ١١٨ .

(٢٠) صموئيل زويمر: وهو رئيس الارسالية التبشيرية الامريكية العربية في البحرين، ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الاوسط ، حضي بدعم الكنائس الاصلاحية الامريكية، ويعد من ابرز اعمدة التبشير في العصر الحديث، ورئيس تحرير مجلة (العالم الاسلامي) التي انشأها في تشرين الثاني ١٩٥٢، وله كتاب (العالم الاسلامي اليوم) . مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقين مالهم وما عليهم ، دار الوراق للنشر والتوزيع، القاهرة ، د.ت ، ص ٤١

(٢١) عبد المالك خلف التميمي، التبشير في منطقة الخليج العربي دراسة في التاريخ الاجتماعي والسّياسي، دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع ، (الكويت ، ١٩٨٢) ، ص ١٨.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢٣) طارق الحمداني، المصدر السابق ،ص ١١٩-١٢٠.

(٢٤) لوريمر، المصدر السابق ،ص ٣٤٤٨ .

(٢٥) طارق الحمداني، المصدر السابق ، ص ١٢١.

(٢٦) مفيد الزيدي، بدايات النهضة الثقافية في منطقة الخليج العربي في النصف الاول من القرن العشرين، دراسات استراتيجية العدد(١٥)، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ص ٢١.

(٢٧) لوريمر، المصدر السابق ، ص ٣٤٤٣ .

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٤٤٥-٣٤٤٦ .

(٢٩) عبد المالك التميمي ، المصدر السابق ، ص ٢٠.

(٣٠) اتوفيق سلطان اليوزبكي، المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٣١) عبد المالك التميمي، المصدر السابق، ص٢٠.

(٣٢) بحوث وتقارير، وكالة الانباء العراقية ، البحرين نظرة شاملة ، (١٩٧٦/١٠/١٥) ، ص ٥٢.

(٣٣) عبد المالك التميمي، المصدر السابق ، ص ٢١.

(٣٤) احمد عبد الوهاب، المصدر السابق ، ص ٢٢.

(٣٥) طارق الحمداني، المصدر السابق ، ص ١٢١-١٢٢.

(٣٦) احمد عبد الوهاب، المصدر السابق ، ص ٢٠.

(٣٧) طارق الحمداني، المصدر السابق ، ص ١٢٥.

(٣٨) عبد المالك التميمي، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٣ .

(٣٩) مجلة المؤرخ العربي، (العدد ٣٠ السنة الثانية عشر ، بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ٢٨ ؛ لوريمر ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤٥-٣٦٤٦ .

(٤٠) عبد المالك التميمي ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٤١) ابراهيم صيهود عبد الستار الانصاري ، الحركة الفكرية في البحرين ١٩١٤-١٩٦٨ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٤٢.

(٤٢) عبد المالك التميمي ، المصدر السابق ، ص ٤٦.

(٤٣) المصدر نفسه .

(٤٤) حسن سعيد ، الارسالية الامريكية في البحرين في الوثائق البريطانية ، صحيفة الوسط البحرينية ، (العدد ٤٤٧٤ ، ٧ ديسمبر ، ٢٠١٤) .

(٤٥) احمد عبد الوهاب ، المصدر السابق ، ص ٢٢.

(٤٦) مفيد الزيدي ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، ط٢ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ، ٢٠٠٣) ، ص ٥٦ .

(٤٧) عبد المالك التميمي، المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(٤٨) محمد الرميحي ، قضايا التغيير ، ص ١٧٣ .

(٤٩) عبد المالك التميمي، المصدر السابق ، ص ٨٢

(٥٠) محمد الرميحي ، قضايا التغيير ، ١٧٣.

(٥١) وكالة الأنباء العراقية ، المصدر السابق ، ص ٥١ ؛ مجلة المؤرخ العربي ، المصدر السابق ، ص ٢٨.

(٥٢) محمد الرميحي ، قضايا التغيير ، ص١٧٣ .

(٥٣) رملة عبد الحميد حسين، البحرين ما بين ١٩١٩-١٩٣٩ دراسة للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة ماجستير (غير منشوره)، كلية الدراسات العليا، جامعة الكويت، ٢٠٠٩، ص ٣٧.

(٥٤) عبد المالك التميمي، الاستعمار الثقافي في منطقة الخليج العربي منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، بحوث الندوة العلمية الثالثة ، الكتاب الثاني ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١١ .

(٥٥) امين الريحاني، ملوك العرب رحلة في البلاد العربية، ج٢، ط٥، دار الريحاني، لبنان، ١٩٦٧، ص ٣١٢.

(٥٦) الجدول من عمل الباحث بالاعتماد على: عبد المالك التميمي، التبشير في الخليج العربي، ص١٧٧.

(٥٧) لوريمر ، المصدر السابق ، ص ٣٤٤٣ .

(٥٨) روز ماري سعيد زحلان، المنافسة البريطانية الأمريكية في البحرين ١٩١٨ - ١٩٤٧، مجلة الوثيقة البحرينية، العدد الخامس، السنة الثالثة، تموز، ١٩٨٤، ص ٣٩.

(٥٩) مجلة المؤرخ العربي، (العدد ٣٠ السنة الثانية عشر، بغداد، ١٩٨٦)، ص ٢٩.